أطوّع دائماً التراث كي تعيشه الحياة المعاصرة وتتلاءم معه

جامع التراث الشعبي الدمشقي منير كيال لـ«الوطن»: دمشق بلدي وفيها تفتّحت عيوني على النور ولها دين علي

منير كيال يتحدث للزميلة سوسن صيداوي

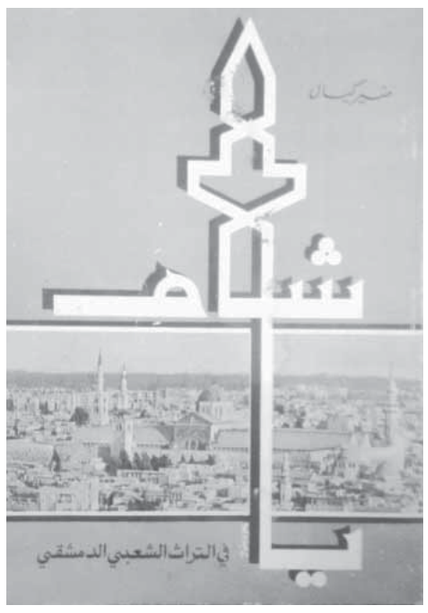

| سوسن صيداوي

في الجنبات والزوايا، في الساحات والحارات، بين الياسمين الدمشقي والفل البلدي، وبين النارنج والكباد، وبين البحرة والحمامة الستيتيّة، وبين ضحك الأطفال وأحاديث الكبار، ومن زحام الحياة وضجيجه اللامحدود، انطلق منير كيال من بين كل التفاصيل الدمشقية سواء المعمارية أو الحياتية وحتى التراثية إضافة إلى الكثير من التفاصيل، كي يقول في كتبه العشرين، هنا دمشق.. محبوبتي، وهذي دمشق.. بلد الحب والجمال والعز والفخار، منير كيال شبّ على عشق دمشق ورغب في أن يؤرّخ كلّ ما فيها، كردّ للجميل، وباعتبار مدينته دمشق، وطناً لكل الأوطان، فإن حبّه الساكن لها سيبقى، ولو بعد حين، في قلبه أكثر اتساعاً وأكثر عمقاً.

جريدة «الوطن» زارت منير كيال في منزله في مشروع دمر.. وإليكم الحوار:

• كيف كانت الحال أيام الطفولة والدراسة؟

ولدت في حارة «كيوان» في ساحة الأمويين، فيها كان يمرّ نهر، وضعت عليه علب من «التنك» كي نستطيع عبوره، وبدلاً مَن الجامع الحالي الموجود في المنطقة كان هناك ملعب كنا نحن أولاد الحارة نجتمع فيه إما لنلعب وإما لندرس، ولكننا انتقلنا من هذا المكان إلى عدة أماكن أخرى، فسكنا في منزل في منطقة «زقاق الحكر». ولمّا انتقلت إلى المدرسة كنت تعلّمت على يد خيرة من الأساتذة منهم عبد الحميد ترتر، وشاكر مصطفى الذي كان يضع ملّخص الدرس على السبورة بوساطة طباشير ملونة ومن خلاله نحفظ الدرس، فهؤلاء الأساتذة هم من قاموا بتأسيسنا.

• إذاً، زمن العطاء انعكس عليك وجعل منك رجلاً معطاء؟

طبعا.. حتى عندما التحقت بجامعة دمشق قسم الجغرافية، قام بتدريسنا أساتذة كبار منهم أنور نعمان، نظمي موصلي، وصلاح عمر باشا الذي دعاني كي أقيم معرضاً في الجمعية السورية التي كان مقرها في ساحة المدفع الحالية، وبعدها أمّن لي مكاناً مخصصاً لتحميض وتكبير الصور، وحينها كان عمري عشرين سنة.

• لماذا عملت وأنت طفل صغير؟

قبل الحصول على الشهادة الابتدائية كنت أعمل في العطلة الصيفية في مطعم «العربي» في المرجة، مقابل أجر عن كل يوم عمل ليرة سورية، ولكن بعد أن حصلت على الشهادة طلب مني أبي أن أترك الدراسة، لكنني طلبت من عمي الكبير أن يتدخل، والذي أعطى أبي المبلغ الذي كنت أحصلّه أجراً، مقابل أن أكمل تعليمي، فأبي لم يؤمن بالتعليم يوماً، وهكذا أكملت تعليمي وكان عليّ أن أعمل كثيراً مع الدراسة كي أؤمّن مصاريفي، وكنت أعطي أمي أحياناً وأرضي والدي، لهذا عملت أيضاً في معامل الزجاج وأحمل الزجاج من الشاغور إلى الشيخ محي الدين واضعاً إياه على رأسي حتى أصل، وأجد مكاناً لبيعه بعد أن أفرشه على الأرض.

• هل تمسكك بالعلم كان من منطلق كل ممنوع مرغوب، أم لأنك تريد أن تثبت نفسك وبأن قرارك محق؟

بل من منطلق أن العلم هو نور، فالإنسان الجاهل لا يستطيع التعامل مع الحياة بمفهوم صحيح بعكس المتعلّم، ثم كان لديّ مجموعة من الأصدقاء وتعلمنا كلّنا في المدرسة نفسها، وبالنسبة لي كان أمراً مزعجاً جداً أن يتابعوا تعليمهم من دوني في مدرسة التجهيز ومنهم تيسير الرفاعي، نزار عرابي، ماجد حافظ.

• في عام ١٩٦٩ بعد رفض كتاب «رمضان وتقاليده» من وزارة الثقافة قال لك الأستاذ نور الدين حاطوم «اكتب.. اكتب وسيأتي يوم يحترمونك ويبحثون عنك».. اليوم تم تكريمك من فرع دمشق لاتحاد الكتاب العرب في المركز الثقافي في أبو رمانة.. هل أنت سعيد بهذا التكريم؟

في يوم التكريم تذكرت الأستاذ نور الدين حاطوم وتمنيت لو رأى هذه اللحظة.

• هل هذا التكريم كاف؟

بل هو كثير عليّ، فأنا لم أقم بشيء يستحق، لم أكن أكثر من وفي لمدينة دمشق.

• إذاً لم تنتظر تكريماً.. لأنّ العطاء لا ينتظر مقابلاً؟

تماماً.. العطاء لا ينتظر مقابلاً، فهذا واجب عليّ تجاه هذه المدينة، فنحن أبناؤها الذين تربينا وعشنا فيها، الشام بلدي وفيها تفتّحت عيوني على النور وفيها تعلمت، ولها دين وفضل علي وأنا أعتبر أنني أوفيها حقها من خلال ما قدمته عنها في كتبي ومقالاتي التي نشرتها والتي سأنشرها، ولهذا أنا أرغب دائماً في تطويع التراث بما يتلاءم مع الحياة المعاصرة كي تعيش الحياة المعاصرة التراث، وأتمنى ممن يأتي بعدي بأن يكمل ما بدأت به.

• اليوم هناك تشويه للكلام وللعادات الدمشقية الموروثة، وما يزيد الأمر سوءاً أن مسلسلات البيئة الشامية تخدم هذا التشويه؟

هذا صحيح.. هناك الكثير من الأعمال التلفزيونية تقوم بهذا، فعلى سبيل المثال كلمة «زبون العوافي» نراها في أعمال المخرج بسام الملا، حاضرة في غير مضمونها الحقيقي وتأتي الكلمة في الجملة التالية «جاء زبون العوافي» للدلالة على قوة حظه، لكن هذا أمر خاطئ، فـ«زبون العوافي» في العرف الشعبي هو «خدين» أي عشيق المرأة المتزوجة، إذا هناك تشويه واضح لمقولاتنا، لهذا حاولت أن أصححه من خلال كتاب طبعته وزارة الثقافة كان يحمل اسم «الهمشرية» لكنني اضُطررت لتغيير اسمه، إلى إيقاعات دمشقية، مع أن «الهمشرية» هي لوصف الإنسان الذي يتآخى مع الإنسان على السراء والضراء، ويصبح الاثنان بطباع واحدة وإذا أخطأ أحدهما يقوم الآخر بتصحيح خطئه.

• شيخ المؤرخين محمد دهمان كان يقول لك بعد أن يرسلك إلى مكان ما: «صف المكان وكن أمينا».. إلى أي مدى الأمانة مهمة سواء في المعلومة وحتى في الحياة؟

الشيخ محمد دهمان له فضل كبير علي، فهو من علّمني كيف أؤرخ وأنقل المعلومة وكيف التقي الناس، وبالفعل عندما كان يرسلني إلى الأماكن ويسألني عنها ويقوم بإرشادي وتوجيهي، فهو من علّمني طريقة البحث العلمي، والأمانة العلمية هي الشيء الصح في حياتنا، فمن لا يكن أميناً على العلم فهو إنسان جاحد، إذاً الأمانة هي شرط أساسي في نجاح المرء.

• إلى أي مدى قدّم لك التصوير الفوتوغرافي الإفادة في عملك التأريخي؟

كثيراً.. ومرة كنت بعت ساعتي كي أشتري فيلماً للكاميرا، حتى إنني كنت أصور وأحمض وأكبّر الصور في بيتي، والصور التي كنت ألتقطها وأنشرها في كتبي إلى جانب المعلومات جاءت لتوثيق المعلومة ولتأكيد صحتها.

• ذات يوم قلت: «أولادك لا يتبعون خطك»، هل ما زالوا كذلك إلى الآن؟

إنهم لا يحبون القراءة ولا التأليف وليس لديهم أي من هذه الاهتمامات، وهذا أمر أعتبره طبيعياً في ظل هذه الظروف الحياتية وفي ظل هموم الأسرة التي يعانون منها، وهذا لا يعني أنهم لا يقدّرونني، على العكس هم مقدّرون جداً لي ولعملي، ولكنّ أعباء الحياة ومتطلباتها تصرفهم عن الاهتمام بالكتابة والبحث والقراءة، ولو توافر عندهم كل شيء لكان الأمر مختلفاً.

• كيف تمضي أوقاتك في الوقت الحالي؟

أقضي وقتي كلّه في القراءة والكتابة.

• اليوم كيف ترى عيون منير كيال الشام؟

في الوقت الحالي لا أستطيع رؤية الشام فهي ليست الشام، فالشام محبة وإخاء وإيثار وطيبة ووفاء.

• هل يمكن أن نقول إن هذه المرحلة ستؤرخ مجداً جديداً للشام؟

إن شاء الله لأن الإنسان إذا لم يمر في المحن والصعوبات والأزمات لا يعود إلى أصالته، وعليه أن يعاني ويتألم حتى يعرف قيمة نفسه أولا ومن ثم قيمة هذا البلد، إذا الوفاء من طبع أهل الشام وصحيح أن الظروف الحالية قهرتهم، إلا أن أملي كبير بأن تعود الشام كما كانت.

• أي حارة شامية محببة أكثر على قلبك؟

بالتأكيد حارة الشاغور،على الرغم من أنني أسكن هنا في مشروع دمر، إلا أنني كنت أذهب إلى حي الشاغور وأمشي هناك، فسكانه يذكروونني بأصلي وبأهلي وبجيراني وبكل حياتي.

«في فمي ماء» ينطق بما استطاع من الحقيقة

| عامر فؤاد عامر

درج أن تُجمع حوارات الكاتب أو المؤلف أو المفكر في كتاب قد نطلق عليه كتاب حصيلة العمر أو ما يشبه ذلك، ففي مثل هذا النوع من الكتب رؤى متنوعة بين المحاورين تجاه المُحاور وبين زوايا متعددة للنقاش والحوار وطريقة طرح السؤال والإجابة عنه يأتي التنوع وصورة الغنى فيه. وللدكتور «نضال الصالح» نصيبه في هذا الصنف من المؤلفات في مؤلفه «في فمي ماء» الذي جاء بعدد كبير من الحوارات منذ العام ١٩٩٠ وإلى ٢٠١٣.

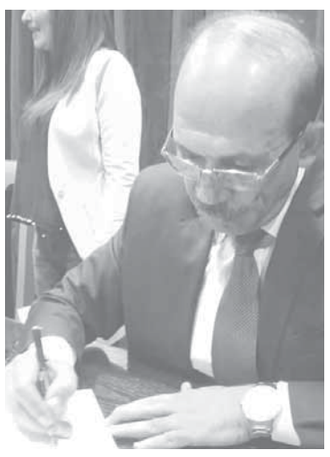

> حوارات العمر بين دفتي كتاب...
> من الإبداع إلى عالم النقد رحلة لاتختصرها الكلمات

الجواب بلى

حضر حفل التوقيع جمهور كبير من المثقفين والإعلاميين، وقدّم الحفل المذيعة «زينب حمود»، كما شارك في تقديم ونقد الكتاب مجموعة من المثقفين والمختصين في الأدب والبداية كانت مع الروائي الدكتور «حسن حميد»، الذي وصف مدى العلاقة والمحبة التي جمعته بصديق عمره ومما قاله أيضاً: «بلى لكم تشبه الكتابات الجميلة البساتين، لما فيها من غنى وبهجة وطعوم، ورحابة وألوان وأطيار، بل لكم تشبه الكتابات الجميلة الغيوم وهي تتدافع وتتماهى وتعلو وتهبط وتمور وتنبسط وتنكمش وتشف مثل ستائر الحرير.

بل كم تشبه الكتابات الجميلة دروب العشاق الناحلة الملأى بالحيرة والرجفان والانتظار...بل لكم تشبه الكتابات الجميلة زينة الأمّهات وقد صرن زبيباً للمحبة والحنين والسؤال واللهفة الحارقة ومدناً للجمال، وبعد لماذا أدفع بهذا الصبر الطويل الطويل ألكي أقول لكم إن في كتاب الدكتور «نضال الصالح» غنى يشبه غنى البساتين وعيون الماء وخلايا النحل ودور العشاق وضفاف الأنهار في معادي الطواحين وكروم العنب واتساع البراري ومكاشفة النهارات؟ الجواب بلى».

الواقع مرجع والنظرية هادٍ

قدّم الناقد الكاتب «عاطف بطرس» في كلمته، سيرة أدبية وفنيّة في تطور أديب وناقد: «لا تدع الماء في فمك يحجب سلطة مقاربة الحقيقة، ولو أن كلاً منّا يعتقد أن الحقيقة كما يراها حقيقةً، لما آلت أمورنا إلى هذا الخراب المعتم، ولو أن كلاً منّا حمل صليبه كما يتطلب واجب الثقافة ورسالة الأدب لكان طريق الجلجلة أقصر وأقلّ إيلاماً، بمنجزك النقدي قرأت بعضاً من أفكارك كأننا نهلنا من مرجع واحد، الواقع مرجع والنظرية هاد، والنص قراءة وتفكيك وتركيب وهذا وحده ليس كافياً لإعجابي بسيرتك النقدية ومسارك الفكري ومرجعيتك النظرية، وما أدهشني فيه الوحدة الفكرية والانسجام النظري والتماسك المعرفي والتعميمات النظرية في معظم المقالات...».

لا تثقل الضبط الداخلي على القارئ

أوضح الدكتور والروائي «إسماعيل مروة» عطفاً على الكاتبين السابقين في كلمته مزيداً من الإيضاح حول الكتاب ومؤلفه: «الدكتور نضال الصالح ناقد يهتم باللغة اهتماماً كبيراً جداً، وهذا الكتاب عليه التاريخ، وما زال يعنتني باللغة في هذا الكتاب أيضاً، وقد قلت له ذات مرّة لا تثقل الضبط الداخلي على القارئ، الضبط الداخلي للكلمات، لأنه يشتت، فقال لي: هكذا أنا ولا أريد أن أغيّر. في هذا الكتاب لا أستطيع إلا أن أكون قارئاً، فالعنوان ليس نقدياً هو عنوان إبداعي وحوارات في الأدب والثقافة، ووجدت في الكتاب أموراً عدة ومنها أن هناك ما ينظم هذه الفصول فهي من أولها إلى آخرها تتحدث في النقد وكأنه يريد أن يقول هذه مدرستي لطلابه ولشداة النقد أمثاله...».

ثلثا الحقيقة أو أكثر

أشار الروائي «نذير جعفر» في كلمته إلى مجموعة من النقاط نذكر منها: «في فمي ماء – مطارحاتٌ في الأدب والنقد والثقافة» تكلم تكلم لأراكَ، والرؤية هنا تنتقل من الوجود بالقوّة إلى القوّة بالفعل، ومن الاحتمال إلى اليقين، ومن اللغو إلى اللغة، فما أحوجنا إلى ثقافة الرؤية لا ثقافة السماع، فبالرؤية تتسع البصيرة ويستدلُّ بالمنطوق على مؤشرات ثقافة الناطق وسلوكه ومواقفه، ولكن من أين للمتكلم أن ينطق بحقيقة مواقفه وفي فمه ماء! له مثل ذلك أن ينطق بثلثي الحقيقة أو أكثر، كما أشار المؤلِف، ... وله أيضاً أن يلمح ولا يصرّح، وأن يُومئ ولا يفصح، والبلاغة كما نعرف مراعاة مقتضى الحال، وفيها يتناغم الصمت والكلام كلّ في مقامه توخياً لبلوغ الرسالة إلى متلقيها...».

اعتزاز

شكر رئيس اتحاد الكتاب العرب د. «نضال الصالح» حضور زوجته وأسرته الصغيرة هذا الحفل، وكذلك وصل الشكر لأصدقائه، وزملائه الذين شاركوه المناسبة، والمثقفين، والإعلاميين الحاضرين في هذا الظرف، ومما قاله اقتطفنا: «أيّ كلامٍ يليقُ بهذه الأمسية التي ستظل محفورة في روحي ما بقيت هذه الروح تخفق في الحياة، لا أعرف حقاً ما الذي يمكن أن يقال في حضرة أرواحٍ رفرفت في كلمات، في أصدقاء أعتزّ بهم، أيّ كلامٍ يليق بكم، وبحضوركم في هذا المساء، وما الذي يمكن أن أقول عن هذا الكتاب؛ الذي أدين بصدوره لصديقٍ عزيزٍ ورفيق درب، على الرغم من إعدادي لهذا الكتاب قبل ٦ سنوات من اليوم ...».

العشرون

جرت بعد ذلك عدّة تساؤلات قدّمها جمهور الحفل فكانت بين السؤال، والإيضاح، والاستفسارات، ثمّ تلا ذلك توقيع الكتاب، ويذكر أن كتاب «في فمي ماء» هو الكتاب العشرون للدكتور «نضال الصالح» ضمن سلسلة مؤلفاته، وقد جرى الحفل «في المركز الثقافي في أبو رمانة، في دمشق بحضور شخصيّات ثقافيّة وإعلاميّة وأصدقاء ومهتمين.

الفنانة التشكيليّة نازك سليمان لـ«الوطن»: البورتريه لونٌ بارز في لوحتي

| الوطن

تعلّقت في الرسم الذي بدأ هوايةً منذ الصغر فكانت تنظر إلى تفاصيل وجهها وترسمه مراراً، وصقلت موهبتها في الدراسة، فهي خريجة كليّة الفنون الجميلة ٢٠٠٦، لكنها بقيت على تعلقها في رسم الوجوه ولون البورتريه، لتتكون علاقة من الإخلاص بينها وبين ما أخلصت له سابقاً في رسم تفاصيل وجهها، ولذلك نرى أن كلّ لوحاتها تشبه وجهها. الفنانة التشكيليّة «نازك سليمان» تحدّثنا عن تجربتها التشكيليّة، وعن خصوصية رسم البورتريه معها.

منذ البداية

تقول الفنانة «نازك سليمان» عن بدايتها في الرسم مستذكرةً: «منذ كنت صغيرة أحببت رسم الوجوه، فأقف أمام المرآة؛ وأنظر إلى تكوين وجهي وأرسمه بهدوء، وأراقب التفاصيل وأجتهد في وضعها على اللوحة، وهذه الممارسة استمرت معي لوقتٍ طويل فتعلقت بها كثيراً، واستمرت معي إلى اليوم».

المرونة

يتحقق حلمها بتطوير ملكاتها الداخليّة في فن الرسم ولاسيما البورتريه، وذلك من خلال الدخول لكليّة الفنون الجميلة في دمشق وعن هذه المرحلة تشير: «بعد الدخول إلى كليّة الفنون الجميلة، أصبحت انتبه لتفاصيل كثيرة لم أكن ألاحظها قبل هذه الدراسة الأكاديميّة، بالإضافة إلى الصقل والعمل المستمر الذي يولّد المرونة والتعامل السليم مع اللوحة واللون والريشة وحركة اليد وغيرها من التفاصيل الخاصة بالرسم والعمل».

إيحاءات أنثى

لكلّ فنان طموح تجربته في عرض لوحاته وخوض العلاقة مع المعارض الفرديّة والجماعيّة، وعن هذه التجربة تضيف «نازك سليمان»: «البداية كانت من خلال المشاركة في مجموعة من المعارض الجماعيّة في صافيتا، ولكن المعرض الفردي جاء في العام ٢٠١٣ وكان معرضاً في صالة «مصطفى علي»، وهي الخطوة الأولى التي أعتبرها تشبهني، وقد حملت عنوان «إيحاءات أنثى»، وجاءت اللوحات جميعها من خلال الرسم بالباستيل وبالقهوة، واخترت هذا النوع من الرسم لأنّني أحبّ الباستيل وهي مادة تشبه الطبشور، وفيها حريّة في التعامل، ولا التزام بالريشة بل الرسم يكون باليد والأصابع، وبحريّة كبيرة في الحركة، أمّا الرسم بالقهوة فهو يشبه الرسم بالألوان المائيّة، ويمنحني هذا النوع إحساساً جميلاً. وكان هذا المعرض خطوة مهمّة في أمّا التجارب التي تلته فكانت المشاركة بمجموعة المعارض الخاصّة بجمعيّة «نحنا هون» الثقافيّة، وهي معارض جماعيّة أقيمت بين دمشق، وطرطوس، وصافيتا، والمشاركة الأخيرة هي في المهرجان الذي أقامته جمعيّة «نحنا هون» الذي حمل شعار «سلام من حلب إلى دمشق» في حديقة القشلة والرسم في الهواء الطلق وأمام الناس، وقد رسمت لوحة فيه خلال يومٍ واحد».

نصف الوجه

عن خصوصيّة رسم الوجوه أو فنّ البورتريه الذي تعلقت به الفنانة التشكيليّة «نازك سليمان» تقول: «أنا لا أحبّ رسم الوجه كاملاً، بل دائماً أحبّ أن يكون جزءٌ منه مضاء، والآخر عاتم، أو غامض، وأفضّل إبراز عينٍ واحدة في الوجه فقط، والظلّ يرافق نصفاً من الوجه فقط وضمن تدرجات خاصّة، وأنا لا أرتاح في اللوحة إذا رسمت وجهاً كامل الملامح، وأعتقد أن رسمي يتأثر كثيراً بالمرحلة الكلاسيكيّة ولاسيما الفنان «رونوار».

وجهة النظر

يبقى للمتلقي وجهة نظره في تفسير الوجه الذي ترسمه «نازك» فبحسب إحساسه يأتي التعبير، وكلّ شخص له حكايته مع الوجه. كما تتميّز تلك اللوحات بتمثيل الحياة في نصفين بين المكشوف منها والغامض، لكن يبقى لنظرة العين التي تهتم فيها كثيراً وفي إبراز ملامحها الإيحاء الخاصّ والجميل في تلك اللوحات.